

الجهود العربية الحديثة في المصطلحية:

• تمهيد:

من المسائل البديهية المتفق عليه بين الباحثين أنه لا سبيل للنهوض العلمي إلا بالتعليم، والتعليم يحتاج لتفعيل دور الترجمة في المجتمعات، خاصة على صعيد التعليم العالي بالجامعات والمعاهد، وتعريب العلوم لا يتم إلا بتوفر المصطلحات العلمية الذي يضبط تلك العلوم، فالمصطلحات مفاتيح العلوم، والعلوم هي السبيل للنهوض بالدول وباقتصاداتها، وبالتالي فهي السبيل للتفوق على كافة الأصعدة.

هذه المسألة التفت إليها المحدثون وأولوها عنايتهم، بدءاً من حركة الترجمة في مصر وفي الشام إبان القرن الـ19 م إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين، وقد رافق حركة الترجمة تلك سعي حثيث لإيجاد المصطلحات العلمية ومحاولات تدريس العلوم بالعربية، "ولئن أصابت هذه النهضة العربية العلمية نجاحاً هنا وإخفاقاً هناك، فمرّد ذلك إلى الأحوال الاجتماعية والسياسية التي كانت تكتنف المجتمع العربي فتدفعه حيناً إلى الأمام وتردّه حيناً آخر عن غايته".

من صور الاهتمام بالمصطلح في العصر الحديث نجد الجهد المبذول في مجال صناعة المعاجم المتخصصة وكذلك الموسوعات وإنشاء المجامع ومكاتب التعريب والحرص على تفعيلها وتزيدها بأحدث الآليات لوضع المصطلحات والعمل على توحيدها وتخزينها ونشرها.

إذا كان اللغويون القدامى قد اجتهدوا في تحديد طبيعة المصطلحات - وإن بشكل تطبيقي- دون الخوض في مسارها التنظيري، فالمحدثون سعوا إلى اتباع منهجيات جديدة في التعامل مع المصطلحات العملية التي ظهرت للوجود في القرن العشرين، فالجهود التي بذلت منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم لإيجاد مصطلحات تعبّر عن المفاهيم الجديدة تتطلب - كذلك - بحثاً في بنية هذه المصطلحات كما استخدمت بالفعل في تلك النصوص العلمية.

هذه الدراسات الحديثة - إن وُجدت - سيكون من شأنها أن تهتم بصناعة قرارات جديدة تخدم مجال المصطلحية، لذلك سوف نستعرض بعض المساهمات الفردية والجماعية لمحاولة النهوض بالمصطلحات العلمية الجديدة.

• الجهود الفردية في صناعة المصطلحات

من المعاجم العامّة التي خصّصت مجالات واسعة لدراسة المصطلحات وشرحها نذكر: محيط المحيط لبطرس البستاني ودائرة المعارف للشيخ إبراهيم اليازجي الذي كان له الفضل في ابتكار مصطلحات جديدة مثل: الدراجة والمجلة والحساء والمقصف واللؤلؤ والحوذي، بالإضافة إلى جهود كلّ من سليمان البستاني وأحمد فارس الشدياق ويعقوب صرّوف الذي ابتكر مصطلحات متداولة اليوم بكثرة وهي: الغوّاصة والدبّابة والرشاشة والنّواة والكهرباء، وهي كما تلاحظ جهود فردية، وذلك راجع لغياب المجامع التي لم يتمّ تأسيسها بعد بكافة البلاد العربية إذ لم تتأسس ولم تظهر للوجود الفعلي وللممارسة الفعّالة إلا بعد الثلث الأول من القرن العشرين. فكان هؤلاء ينتجون هذه المصطلحات دون الحاجة لوجود اتفاق جماعي بينهم أو بين الدوائر والجهات العلمية المتخصصة وحتى دون اللجوء للجهات السياسية في تلك الفترة من التاريخ.

كانت نتيجة جهود هؤلاء أن ظهرت عدة معاجم اعتنت بالمصطلحات سوف نوردها في محاضرات قادمة، ولكن هذه المعاجم سواء أكانت قديمة أو حديثة، عامة أو متخصصة، ومهما كان الجهد الذي بذل فيها إلا أنها لم تبلغ الغاية التي يريها أهل المصطلحية، ذلك أن تلك المصطلحات واضعوها أفراد والفرد مهما كان ضليعا ومطلعا على العلوم لا يستطيع أن يلمّ بالمصطلحات العلمية الدقيقة التي تحوز القبول وتظفر بالإجماع، وحتى لو فرضنا أن تلك المعاجم سعت للاجتماع بينها وللتوفيق والاتفاق فإن السبيل إلى ذلك ما يزال بعيد المنال، وقد مهدت لذلك مجامع اللغة العربية ومكاتب تنسيق التعريب بالجهود التي بذلتها في وضع منهجيات التعريب ووضع المصطلحات وتنسيقها عن طريق اللجان العلمية والمؤتمرات العربية.

إن إعداد معجمات خاصة بالمصطلحات المتعلقة بقطاعات علمية أو تقنية أو فنية محددة يُعدّ من القضايا الأساسية للبحث في المصطلحية. قد تكون هذه الخطوة غير مقنعة وغير كافية لكنها مساهمة في دفع عجلة هذا العلم إلى الأمام، وهي تحتاج إلى إمام واسع بالمصطلحات والجهود التراثية ومحاولة صبّها في قوالب جديدة تستفيد منها العربية المعاصرة، وحتى لو تمّ لها ذلك فهي بالتأكيد لن توفي هذا العلم الجديد حقّه من البحث اللائق به والذي سيرفع من شأنه في مصافّ بقية العلوم عبر كافة الدول المتقدمة.

كما أن النظر إلى التأليف المعجمي وحده كنقطة انطلاق في مجال النهوض بالمصطلحات الحديثة، إذ وجب التفكير إلى جانب ذلك في تحديث وتطوير المناهج

المعتمدة في الدراسات اللسانية، فالمناهج الوصفية لم تعد تقي بالعرض، وصار التفكير في مناهج توافق وتواكب المصطلحية أمرا لازما، كما يُنصح بالاستفادة قدر الإمكان من تلك المناهج الوصفية وغيرها مثل التاريخي والمقارن والتقابلي، وعلى المصطلحية أن تختار منها الجوانب الأنسب لها.

• جهود المجامع اللغوية في مجال المصطلحية:

تأسس مجمع اللغة العربية بدمشق العام 1919 م، وانصبّ عمله منذ البداية على جمع المخطوطات النفيسة وتحقيق الكتب والمؤلفات وتدقيق المصطلحات العلمية ونشر البحوث اللغوية في المجلة التي كان يُصدرها باسمه، ويُعتبر المرجع المسؤول عن المصطلح في البلاد السورية.

ثم تلاه المجمع اللغوي بالقاهرة العام 1932 م، وسعى منذ البداية للمحافظة على سلامة اللغة العربية ومنحها الرقي المنشود بين سائر اللغات، لغة وافية بمطالب العلوم والفنون، لذلك وضع قرارات مهمة تُيسر عمل العاملين في مجال المصطلحات برسمها قواعد لهم، ووضع مئات من المصطلحات وتحقيق علمي لمصطلحات كثيرة أخرى، بل إن جهوده تعدت ذلك إلى السعي لتأليف معاجم تُعنى بالمصطلحات مثل: المعجم الوسيط والمعجم الوجيز. كما أنشأ مجلة تُعنى بنشر أبحاثه.

ظهر بعد ذلك المجمع العلمي العراقي العام 1947 م، وقد حدّد منذ البداية أهدافه بأن جعل العناية باللغة العربية وافية لمتطلبات العصر، خاصة على صعيد العلوم والفنون، وكافة شؤون الحياة المعاصرة، وظهرت له مجلة تُعنى بنشر بحوثه العلمية والفنية.

أمّا بالأردن فقد استُحدث مجمع لغوي باشر عمله بهمة عالية ومنذ العام 1976 م، وسعى للرقي وللنهوض والرقي بالمصطلحات العربية، وحذا في ذلك حذو المجامع التي سبقته.

في فترات لاحقة من القرن العشرين سعت المجامع اللغوية الأنفة الذكر إلى التنسيق بينها على مستوى الجهود المصطلحية، والجمع بين نشاطاتها وتوحيد جهودها في مجال المصطلحات كي لا يقع التشتت بينها وينعكس ذلك سلبا على مستوى

المصطلحية. غير أن تلك الجهود ظلت حبيسة الإطار النظري كما غلب عليها التمسك بالرأي لكل مجمع، فلم تُثمر على الصعيد المصطلحي إلا بالنزر اليسير خاصة فيما تعلق بالنشر والجمع المصطلحي.

لأجل ذلك فكروا في إنشاء مجمع جامع لها كلها، عُرف لاحقا باسم "اتحاد المجمع اللغوية العلمية العربية" بالقاهرة العام 1971م، يهدف إلى تنسيق عمل المجمع اللغوية العربية وتوحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ومحاولة نشرها عبر للقنوات الرسمية للبلاد العربية وغير العربية، والعناية بالترجمة، فضلا عن سعيه خدمة اللغة العربية على كافة الأصعدة الأخرى فيما عدا المصطلحية، ويتكوّن من أعضاء بالمجامع الأخرى يجتمعون فيه من أجل توحيد الرؤى والتوجهات العامة بينهم. غير أن هذا الأخير ظل هو الآخر حبيس الأفكار والممارسات التقليدية، فلم ينتج عنه جهد مُعتبر في مجال المصطلحية، إلا إذا استثنينا بعض المؤتمرات والندوات التي كانت تُقام ببعض العواصم العربية تباعا وتوزّع بينها بشكل عادل تفاديا لكل احتجاج.

ثم جاءت فكرة إنشاء (مكتب تنسيق التعريب) بالرباط من أجل النهوض بمسؤولية تنسيق وتوحيد المصطلحات فقط دون غيرها من المهام اللغوية الأخرى التي كانت المجمع اللغوية تنهض بها، وقد انبثق هذا المكتب عن مؤتمر عُقد بالرباط العام 1968 م، وهو مثلما يتضح للقارئ هنا يسبق تاريخ إنشاء مجمع اللغة الأردني، غير أن هذا المكتب لم ير النور إلا في مرحلة تالية لهذا التاريخ، ولم يفتتح نشاطه بشكل رسمي إلا لاحقا، وقد أوكلت إليه مهمة تنسيق جهود الدول العربية في مجال المصطلحية، في ميدان التعريب خاصة، وذلك تحت إشراف جامعة الدول العربية، فوافقت جلّ الدول العربية على إحداثه وجعلت مقرّه بالرباط والتزمت بتمويله، وتطبيقا لهذه التوصيات نظّم المكتب دورته الأولى العام 1962 م، وأصبح بذلك مؤسسة مُلحقة بجامعة الدول العربية ثم ألحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العام 1972 م.

إن ظهور هذا المكتب شكّل قفزة نوعية على الصعيد المصطلحي، وذلك بسبب ما عانتها اللغة العربية العلمية من تشتت بسبب النظرة للجانب المصطلحي فيها نظرة لسانية أو دلالية، حيث عانت المصطلحات العربية من تعدّد دلالي وتراصف واشتراك لفظي، فضلا عن التعدد من اللغات المصدر وهي اللغات التي يُترجم ويُؤخذ منها المصطلح في العادة، كما لاحظت المجمع أن واضعي المصطلحات كثيرا ما يغفلون عن العودة للتراث اللغوي العربي والاستقاء منه والاستفادة منه، بل كانوا يتوجهون صوب اللغات الأجنبية فيقومون بترجمة حرفية دخيلة لتلك المصطلحات الرائجة.

لأجل ذلك كله أُسندت لمكتب تنسيق التعريب العام 1969 م مهمة القيام بتنسيق الجهود التي تُبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الدقيقة والصحيحة والتي من شأنها أن تعكس هويتها اللغوية . فتمّ توفير الجوّ المناسب لهذا المكتب كي يقوم بتأدية واجبه على أكمل وجه ممكن. فعقدت له مؤتمرات وندوات عبر كافة العواصم العربية، واستعانت به المجامع اللغوية لضبط مهامها المصطلحية.

من تلك المؤتمرات التي عقدها المكتب نذكر: المؤتمر الأول بالرباط العام 1961 م، والمؤتمر الثاني بالجزائر العام 1973 م، حيث أقرت فيه معاجم للتعليم العام في المواد الأساسية مثل: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والنبات والحيوان..... ثم أقرت معاجم تعليمية أخرى في سنوات لاحقة بمؤتمرات متتالية.

يُعدّ مكتب تنسيق التعريب من الجهود المصطلحية الحديثة التي تتّسم بالجدية والصرامة في التعامل مع المصطلحات الجديدة، فقد استطاع أن ينهض بهذا العلم الجديد واستطاع أن يُعوّض شيئاً مما أغفلته المجامع اللغوية منذ تأسيسها مطلع القرن العشرين. وما يزال ماضياً في جهوده واجتهاداته المصطلحية إلى يومنا هذا.

يمكن تلخيص جهود المجامع اللغوية في مجال المصطلحية في النقاط الآتية:

- مراجعة وضبط المصطلحات الجديدة، والموافقة عليها، واعتمادها، ومحاولة نشرها عبر كافة السبل المتاحة.
- إعداد المعاجم المتخصصة في مجال المصطلحات وكذلك الموسوعات ودوائر المعارف.
- عقد ندوات ومؤتمرات وحلقات بحث لتدارس أوضاع المصطلحية العربية والسعي لتطويرها عبر تنفيذ توصيات تلك المؤتمرات والندوات.
- السهر على تنفيذ خطط بحثية تساهم في إنشاء بنوك مصطلحات جديدة، وكذلك العمل على الاستغلال الجيد للتكنولوجيا الحديثة في مجال المصطلحية.

جدير بالذكر أن هناك مجمع لغة افتراضياً أصبح يباشر مهامه عبر شبكة الانترنت ويمكن مراجعة جهوده اللغوية بشكل عامّ وجهوده المصطلحية بصفة خاصة عبر صفحته على تطبيق تويتر. وهو مجمع يمارس نشاطه الإلكتروني منذ 2012م بالمدينة المنورة بالسعودية، يرأسه أ. د. عبد الرزاق الصاعدي.

• جهود المؤسسات الرسمية في مجال المصطلحية:

ساهمت بعض المؤسسات العامة التابعة للجهات الرسمية في النهوض بالمجال المصطلحي ورعايته بشكل يضمن له الانتشار، غير أن ذلك الاهتمام بقي محصوراً هو كذلك في مجال التنين والتنظير، ومن تلك تلك المؤسسات "جامعة الدول العربية" و"المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، الأولى كانت تسهر على التقنين والتنظيم السياسي للعملية؛ حيث إنه من غير الممكن السير وفق المنهج القديم في مجال التعامل مع المصطلحات باعتماد الجهود الفردية أو قبول جهد جماعي دون النظر إلى جانب الاتفاق والاعتماد الرسمي، والثانية كانت تسهر على الجانب العلمي والتقني بحكم اختصاصها التربوي والتعليمي.

لم يتأخر مجلس جامعة الدول العربية في استلام زمام القيادة ومحاولة فرض قوانين صارمة في التعامل مع المصطلحات وكيفية وضعها وضبطها وتقنينها، مع أن قرارات هذا المجلس كثيراً ما قوبلت بالرفض أو التراخي، ومن شأن تلك القرارات ما تعلق بشأن تعريب التعليم وضبط حركة الترجمة، وإحداث معاهد لتكوين المترجمين الأكفاء المعتمدين، والذين يعوّل عليهم في مجال ضبط المصطلحات، وكذلك إقامة مؤسسات للترجمة وإصدار الموسوعة العربية وبعض المعاجم العامة والمتخصصة...

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) فقد سعت بالتنسيق مع جامعة الدول العربية إلى اعتماد مشروع إحداث معهد للترجمة يتولى إعداد المترجمين الكتابيين والفوريين للعمل في المنظمات الدولية والإقليمية....

لقد انصبّت جهود هذه المنظمة على دعم حركة الترجمة في مجال المصطلحية، وسعت لتشجيع الأقطار العربية على تدعيم هذه الحركة مادياً ومعنوياً وسياسياً، والعمل على تشجيع تخريج مصطلحيين متمكنين في مجال الدراسة المصطلحية.

إن التفكير في النهوض بالمصطلحية عبر جهود الجامع ومكاتب التعريب وكذا مؤسسات الدول الرسمية السياسية منها والثقافية التعليمية كل ذلك لا يخدم المصطلحية فقط، بل هو يوفر لهذا العلم مساحات جيدة ينشط من خلالها ويسعى بدوره لإفادة المجتمعات العربية والدول بشكل عام من أجل اللحاق بالركب العالمي العلمي.

• جهود الجامعات العربية في مجال المصطلحية:

أوضحنا فيما سبق أن الاهتمام العربي بالمصطلحية اهتمام منصب بالدرجة الأولى على الناحية التنظيرية، من خلال عمل الهيئات من مجامع ومكاتب تعريب وهيئات رسمية مثل جامعة الدول العربية ومنظمة الألسكو، ويتبقى اهتمام آخر موجه من طرف الجامعات في شتى البلاد العربية، أي جامعات التدريس لا جامعة الدول العربية، فقد اشتغلت هذه الجامعات على تخريج خبراء ومترجمين محررين وفوريين، من كليات الآداب بالدرجة الأولى، غير أن كثيرا من هؤلاء لم يكونوا على قدر من التخصص في مجال المصطلحية ولم تكن تُقدّم لهم برامج متخصصة للترجمة المصطلحية، فالشهادات الممنوحة لهم هي شهادات مؤهلة للترجمة العامة لا الخاصة، ولو كانت الجامعات العربية عرفت نظاما محددة الملامح لتأهيل المترجمين المتخصصين لكان إعداد هؤلاء في مجال المصطلحات سهلا، كما هو حاصل في الدول الغربية عند إنشائهم بنوك المصطلحات.

إنه لمن الضروري تفعيل دور الجامعات العربية من أجل تحفيزها على إنتاج متخصصين في مجال المصطلحية للعمل في المجامع اللغوية الحالية والمستقبلية وفي مراكز البحوث اللغوية وفي الوزارات المختلفة وفي المؤسسات اللغوية التابعة لجامعة الدول العربية مثل مكتب تنسيق التعريب ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية، وللعمل أيضا في المنظمات الدولية العالمية والإقليمية المختلفة، ولم لا؟ فقد يصل الوضع العام بالبلاد العربية إلى توظيف وتعيين خبراء في المصطلحية للعمل في المؤسسات الصناعية الكبرى.

إن هذه المسألة تحتاج منا إلى وجود جانبيين: مادي وبشري؛ فأما المادي فيتمثل في إنشاء بنوك المصطلحات وتفعيل دورها في المنطقة العربية وكذا رصد الاعتمادات والوجود المادي للبرامج المناسبة للمصطلحات في شبكة الانترنت باستغلال التكنولوجيا الحديث، وأما العامل البشري فيتمثل في وجود العدد المناسب من خبراء المصطلحات المؤهلين تأهيلا مناسباً لتنفيذ الأعمال المنوطة بهم في بنوك المصطلحات بكفاءة ودقة وسرعة.